

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع
الجزء السابع والثامن



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET



بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيذكرون آياته
أولئك الذين هدى الله فبأذنهم يؤمرون من أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي و« منارة » كنار الطريق

﴿ مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ ﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

﴿ تابع لما نقل عن الأحياء ﴾

« وحكي أن حطيطة الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيطة ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال أن سئت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول انك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فأنتهى به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون تصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للحجاج أنه في آخر ريق فقال أخرجه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأنتهى أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبني أمية) دعا بفتح أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فاننا أحب حفظهم وتعمد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلغني عن العصاة من أهل الديار الا امرأجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطايتهم فأضمه في بيت المال ومن نيتي ان أردده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك النحر فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور وانية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الأمير انما السلطان والله يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال قلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعمد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» (١) ويقول اني ربما قبضت من عطايتهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحر فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتزول على عمالك يا ابن هبيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يملك من الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله واني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله ونيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك بسوط وبسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرك ويمسك فقام ابن هبيرة وقد بسروجه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفة وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرص العربي بين المقاريف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقارنة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطنا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى الفخاريون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد انهم أهل نطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتهم فقال الفخاريون يا أمير المؤمنين سلمه عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كمحسن وهو ما كان أبوه ذير

عربي ويقال به الهجين

(المنار ٩:٧)

نصيحة الأوزاعي للمنصور

٥٠٠

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما نقول في قال تعفني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم بيا بك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم وللديلم والترك بهذا المكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقسما بالسوية وأخذوا بأفقاء فارس والروم وأصغروا آذانهم قال فغلى أبو جعفر قفاه وخلق سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق لتقتلك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أني لا نصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهدي وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالداخل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا خذ عنكم والاقباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيئاً مما أقول لك قال وكيف لأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك واقدمتك إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فاستهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانسبطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأنها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها سخطاً عليه» يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيماننا وال مات غاشياً

رعيته حرم الله عليه الجنة» (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله أن الله هو الحق المبين أن الذي لين قلوب أممكم لكم حين ولا كم أمورهم لقرا بتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمدا عند الله وعند الناس فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعورتهم ساترا لا تفتق عليك دونهم الأبواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتشش بها أصابعهم من سوء، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحرمهم واسودهم مسلهم وكافهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبعت منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية دخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويرزع بها المناققين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أممك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أبادهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحيها خير من إمارة لا تحصيها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يفتني عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه (وانذر عشيرتك الأقربين) فقال يا عباس ويا صفية

(١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ابن أبي الدنيا في مواعظ

الخلفاء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

٥٠٢ إندار النبي لمشيرته وتقسيم عمر الامراء (المنار ٧: ٩)

عبي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي عمالي والكم عمالك (١) وتدقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف الغل أربب امتد لا يبالغ منه على عورة ولا يخاف منه على حره ولا تأخذه في الله لومة لائم وقل الامراء أربعة فأمير قوي ظف (أي منه) نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله بأربعة عليه الرحمة وأمير فبه ضف ضف نفسه وأرتع عماله لضفه فهو على شفا هلاك الا أن برحه الله وأمير ضف ضف عماله وأرتع نفسه فذلك المظمة الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة المظمة » فهو المالك وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فملكوا جميعاً :

وبعد أن أحال في وضعه بما أخذ فإ به اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد الشدة اقيام الله بحقه وإن أكرم الأكرام عند الله انتقوى وأنه من طالب المزم بطاعة الله رفقه الله وأعزه ومن طابه به نصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي الى اين تقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أنوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخني من مطالعتك أي شيء بهذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن معصب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأيسم نصيحتي بمرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة ليصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلاً عند المتزعم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه أخرجه الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والظلم: فأسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجدين وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلي ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعته تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلعني . فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها ولا اقتصرت على نفسي فنيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الظلم حتى حال بينه وبين الحق واصلاح مآثر من البغي والفساد في الأرض أنت: قل وبحك وكيف يدخلني الظلم والصفراء والبيضاء في بدني والخلو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الظلم ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأنتقلت أمورهم وهتمت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك نفسك فيها عنهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة أن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يبينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضيف ولا الفقير ، ولا أحدا إلا وله في هذا المال حق ، فلما آرك هؤلاء انفرد الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك نبجي إليك الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نخونه وقد سخرنا قائمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الا أفصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعظمهم أعظمهم الناس وها بهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والوال ليقوا بهم على ظلم ربعتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ليناؤا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالظلم بنيافسادا وصار هؤلاء القوم شركاك في سلطتك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك

حال ملوكنا اليوم وحاجتهم الى النصيحة (المنار ٩:٧)

٥٥٤

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت له مظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضر بامبر حال يكون نكالا لغيره وانت ذطر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا . ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فنصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه: مالك مالك؟ فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فيتصرف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقد متها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك يبكي لا بكت عينك فقال أمانني لا أكلي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل أمان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك «

وبعد ان أطل في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حذف به من الاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هرير بوانك متخافة ان يحملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما وناك على اصلاح أمرك ورعينتك . فقال المنصور اللهم وقتني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملوكهم دون ملكه وهروب الخیار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العرابية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا وفكرا وروحاً مدبراً اذ كان برئاسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كما سيطر على جميع أعمال الحكومة كما يبا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقاداً كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلاً عن الجزء الثاني من تاريخ حياتها (الذي يطبع الآن) وهي وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٢٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة أمر ذلك كله بشباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذاكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاماً كثيراً اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريباً على الأذان وحشياً عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) اذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من خطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للمكاتب من المكانة عند الحكماء والتصرف في الحقوق فاكثفوا بارسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطوَّبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه في أولئك لا نبيديها وأما في أيامنا هذه فقد تسببت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه أخرى لهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آبائهم لعلمهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكان في انتظار توفيق الله يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سيقب لنا نؤدي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاكي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغريبة أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحداثيات تسلي بها النفس بل الذم ذلك اذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتجذب نفوس الناس الى مستلحات العلم فبدل صرف أوقات ليلهم الطول بل في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل تحتها أو في أما كن أخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليفقدوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفنن منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمة وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويثلهفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانب (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أثبتنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف انها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة نجمهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا انها ستجمل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماشاء لهذا الغرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان اثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شبانتنا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاول ان لا تكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستبدا بما آخذنا من البدايات سهل الوسائل ميسر الأسباب

بلغة بلادنا عامة أو خاصة حتي تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة وتلعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعاملون بها اذ ذاك بل يرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
اللي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدر على تحقيق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحتها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الاقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطوعهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخزورات والا أقدمهم بأن تعميم النفع غير ممكن فحيثنذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدل ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الاقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف
قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني
الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

بواجبناهم مينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كمالا وزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانداز وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة فعلا وبصرا لا حفظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحد حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التوبيخات الأكيدة والتعليمات المفيدة وقولوا لعمل بهذا المنشور لا طمأنت نفوس الكافة الى تربية أبنائهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الأزمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماء زمارها فتدكات النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفريز والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء آلهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع مراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفلها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سماعة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يمد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسوءالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من ايراده لا تنفك عنه الوسواس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب منفضات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنعشه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافا في كيفية نأديته لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الأعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسوع إن ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل النفاية منه بمجرد نشره أو أن الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى إذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع إلى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا نقصد بالامتحان إلا السؤال في الفن الذي يعلمه فإذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدّ عارفاً ثم طالب اللقاء والتدريس وكيفية التفهيم فرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفين بفنونهم قادرون على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وإن كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يحب أن يجهد نفسه في التعلیم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعميت هذه الأوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص بمقدار نفسه وأنزل كل منزلة؟ هل اختارت نظارة المعارف لأجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبته وإن كان أعرجاً جازاً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبينوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم بدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كلهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكلامه درساً آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتتطبع هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لا اخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوئهم بالذائل وتكون كلماته في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتमित أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب وأما علما صناعيا مصحوباً بشرور تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقبا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سعة في الفكر والاطلاع على الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي تدريسها في أي الفنون حتى يثنأى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت المذاكرة في تلك الآراء القوية التي أبدأها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بها وإنا نحجب عن ذلك بأن نظارة المعارف هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تغفل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالألفاظ العالية بدون ترتيب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الا كرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الخاضق وكيل المكاتب الأهلية حضرة على بك فنيي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح للمعارف في عصرنا هذا ناراً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة لعالية مساهمة على نشر المعارف وتأييدها فعلياً ان لا تضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من أوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير يبدأ فيه من الهجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة أما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم أخرى نافعة من آداب وتاريخ أحوال الأمم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضيات (فيما سمعت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا تنقسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضرب في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الأجنبية يعد فضيلة يسمى اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وأما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والأفكار التي ربما لا تكون مبسوسة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الأجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التفنن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون معها بعض مبادئ العلوم كما عرمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاناً فعلياً لاجدياً يقنع الناظرين ويفهم المتخصصين ويذهب بتعللات المتعالمين ومطالباً لأصحاب تلك الأفكار بالبرهان الفعلي أيضاً وهو توجه الهمم الى التعلم وافتراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يحجبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لى طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر وما فيه اه

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية المصرية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيراً من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المتقدمون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيه واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلاسة وله مقالات أبلغ منها عبارة لانها أرقى موضوعاً وفكراً وسنورد للقراء نموذجاً منها

باب المناظرة والمراسلة

الإسلام هو القرآن وحده
﴿آراء وأفكار﴾

للككتور محمد توفيق أفندي صديقي الطيب بسجن طه
هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبديه لعلماء المسلمين
المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيباً
أبدوني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوى الإقامة على الضلال ،
ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ،
والإسراع إليه إذا بداني بارق من بصيصه ، وما أناذا أشرع في إيضاح المقصود
بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : —

لا خلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه
منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في
عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً
إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ، ومن
ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن
الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة
ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أراه إليه فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز
بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله ولم يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كما ضمن ما في
القرآن حتى نأمن عليه من التفسير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً
والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب
بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من النبي ؟) فأجاب
عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فاعقل
بشهادته وبوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ المسلمين لا يحدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأثم فدفع بهم في ظلمات في بحر لحي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فإنه من نور

ولم الناس في الأعراس الأولى بالروايات القولية ولو عاوتها خروا بكثرة جمعها جموعاً حتى ملأت الأحاديث الآفاق، وكثرت فيها التضارب والاختلافات، وصار من المستحيل أن يعمل الإنسان بدونه أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الأداء أهداء القرآن المجيد، تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداً لثمة ووجب على المقلدين القول (بأن السكك على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه، أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد، وبذلك شفى الرمد بالأعماء، فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين، رموه بأنه من المارقين، وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل: ولولا عناية الله لا زهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف، وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهباً اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره، فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تخصي نظرهم ان القرآن غير واف بالدين كله، والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وإذا صحت مذاهبهم فأني تقرط أكبر من ترك القرآن لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك؟

دين الله سهل ميسور، والتقليد فيه محذور، فلو كان العمل بما في الأحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة، في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع، والحسن والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع؟
يحتاج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنين نقول إن طاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسحب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجعل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لأثر لها في الكتاب، ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضغمة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أثر من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرنا في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها.

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأي أنه لا يجب. وربما كان ما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لأمر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيثان غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورها وأحوالها كما سنين ذلك في مسألة الزكاة ولنبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا حضرتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً* وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفنا العدو . وأن صلاة الخوف للإمام ركعتان فقط وللمؤمنين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء . وبعبارة أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء إن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يحجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فإن قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحديث عهد المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن المهود في طباع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكلما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الأول كان لمراعاة جانب المسلمين الحديث العهد بالدين وهم إذ ذاك نهر قليل قلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى.

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو. ولو كان السفر قصيراً جداً. ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب. فلو كانت الزيادة واجبة لعد هذا تهاونا وخصوصاً لأن القرآن لم يسمح بالقصر إلا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً أن هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكْتِفَاءً بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتكم الذين كفروا) أن هذا القيد في الآية المذكورة آتياً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم.

(٣) كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وإن جهر في الأولتين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الأولتين

(٤) إتنا إذا نظرنا إلى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السن وفي المندوب والمستحب والرغبة إلى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة. ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ما صلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد مذهبنا إليه كل التأيد.

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم إلا مرة واحدة وإذا ترك سهواً بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا. أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض التوافل وأما المواظبة على جعل بعض الصلوات أربعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق وإذا سلمت فكم من أشياء واظب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة أنها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستنشاق وغير ذلك كثير جداً. وأما قرن الركعات بتسليمة واحدة فكم من أشياء قرنت بل مزجت بالفرائض وقال الأئمة أنها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة، ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركتين الأولى والثانية الأخرتين إشارة منه إلى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما إعادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لأن السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشي آخر انساه ما هو فيه كان يبدد ذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدة في السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً للتصحيح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وإن كان سهواً لا تفكر فيها أمر شريف يليق بالأنبياء فإن حسنات البرار سيئات المقرين وليس سجود السهو هذا خاصاً بترك الفرض بل إذا نسي الإنسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فإذا نوى أن يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (إذا قام أحدكم يصلي أتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدة) .

وأما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتنا هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسميه نحن الآن سنة أو فرضاً أو مندوباً أو مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء راوا النبي عليه السلام يفعله . وأما اجماع الخلف فلا نبياً به والاستشهاد بمحدث (لا تجتمع امتي على ضلالة) انصح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فإن من عرف ان الواجب عليه ركعتان على الأقل فصلى أربعاً قليلاً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله أجراً، وإنما الفرض من هذا الحديث هو تهذيب المسائل عامياً ليس الا . وهو يفيدنا أيضاً في مسائل أخرى من الوجهة العملية فوأن لا تحصى

(المنار ٧: ٩)

الإسلام هو القرآن وحده - الزكاة

٥٢١

﴿مبحث الزكاة﴾

نذكر أولاً مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ما ورد في السنة المتواترة (١):

| النصاب | ما يخرج من الزكاة |
|--|-------------------|
| (١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنيهات تقريباً) | نصف دينار |
| (٢) «الفضة» ٢٠٠ درهم | ٥ دراهم |
| (٣) «الأبل» ٥ جمال | شاة واحدة |
| (٤) «البقر» ٣٠ بقرة | عجل تبيع |
| (٥) «الغنم» ٤٠ شاة | شاة واحدة |

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لابد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظافر لبعض الناس دون الآخرين. وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن مالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم تقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرشا صاغاً مصرياً بالتقريب. وذلك في مبدأ الإسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الإزمنة ومن ذلك نعم أن ما ينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع للأمم في الأوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحمله بجميع العالمين وترك أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الأمور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الأمر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

(المنار ٧)

(٦٦)

(المجلد التاسع)

٥٢٢ الاسلام هو القرآن وحده - الصوم والحج - الحجر الاسود (المنار ٧: ٩)

الكتاب أن يضموا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جهودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنهات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع الشر إذا قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والفاقرين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمال يوم حصاده ولنا أن تقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة قبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما تفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن تقبيل الحجر الاسود وما على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضعها ابراهيم عليه السلام ليصرف به الركن الذي يتبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يمني بيته فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاء فخر عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

(المنار ٩:٧) الاسلام هو القرآن وحده - قتل المرتد - الرجم ٥٢٢

من ضروب العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعاً لله وانكساراً مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمرّة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشئتين الحقيرين تعظيماً لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركناً من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقاً ولا لبشر زمزم ولا للشرب منها فلتدع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لا يفاء موضوعنا حقه أن أتكلّم على مسألتين أخريين لورود نهي كثير عنهما في السنة وعدم ورود نهي في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ما شاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فإن وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « اذاروي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حد الزنا في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتيتن بما حشة فعلن منهن ما على المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بایضاح تام فلو كان الرجم واجبا لذكره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام اذا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم لحشوتهم وشدتهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والفساد جازله والحالة هذه ان يقرر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من أقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . أو ان تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جازا الامام ان يقدر الرجم على غير المحصن أيضاً بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها أولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ووردعها الجلد فيه وإن كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين أوجبوا تقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيراً من الحدود وأطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القطع لا يجب لأول مرة بل يستتاب السارق فان تاب وأصلح وإلا قطعت يده . فهذه أفكار في هذه المواضع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو ممن يعتقد أنني في ضلال أن يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثماً

الخاتمة ❦

إذا قرر ذلك المذهب فسا على المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكري وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه ودينه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب بالاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . فاللهم اهدنا بكتابك . وأفهمنا من أسرارك . واقترح أعيننا وأنر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائرين آمين . اهـ

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم مهدي باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية للمذهب البروتستانتي ثم عني بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد ودعا اليه في انكساراً بغيره وعزم شديداً، وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مراراً وكذلك رفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لمرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما تقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية او شذوذ الفرق الإسلامية التي اقترضت مذاهبها وإنما تكون باقتناع المنطليين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين بكتاب هذه المقالة فإني أعرفه سليم العقيدة مؤمناً بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدياً للفريضة وإنما كان إقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لإقناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

وإني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتزويل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يهتد به جميع المسلمين اليوم فرضاً والكاتب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اطليل في المسألة الآن وإنما ذكرتها لثلاث تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد بالجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لافي الأمثلة التي أوردها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رغب الينا ثلاثة قراء ان نكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على مادونه والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتاباً بأنني فيه على المنار وذكروا من فائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين الناصحين والثالث مجهول أرسل الينا رقياً من الإسكندرية كله سباب وشتم وحكم على قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثامنة بأنها خطأ ولكنه أحسن أن يداري خطأه ويوهفها كان يجوز بهذا ان نمرد الي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولولا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الجبان السباب فبيد الجواب عن هذه الكلمة وإن لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئه في قوله أن خليفة المسلمين يجوز أن يكون كافراً أو بأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لأن سنده لا يصح ومنتبه لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكففتنا عن الرد عليه وإن بنزناً بالقباب الجبل والحسد و..... فانتالسننا من ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم يقل في أحد منهم كلمة سوء أو اتصارا أو اتقاراً وقد هضم أناس حقوقنا المضمونة وكل آخرون ما لنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد انتقدنا غير مرة على اصداقنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهرو غيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثر فيه التهجم على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما إذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة ما فيه وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلاً على العداوة الشخصية ولم يعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وإن كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا وبين الشيخ نجيت عداوة لا سيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه يذكرون لنا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكر في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت واتنا لا نحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حججتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين هذا وقد سبق الي فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بنحيت هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا إليه مئينين أننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على أن ذلك كان معروفاً لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد رداً على ثابت بن منصور إشارة إلى أن الشيخ بنحيت هو الكاتب لها لا أزال أذكرها وهي : لو أن الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرقة إلى الأزهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به إلى جهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : أو ما هذا معناه فذكر خروجه من الخرقة كان إشارة من الكاتب إلى أن ثابت بن منصور هو الشيخ بنحيت . وانا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الأميرية كان المقصود من كتابي إلى المؤيد أن أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي أخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بنحيت وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بنحيت وانظر ما كتبه هو إلى المؤيد فانا ننشره لمصافيه من العبرة في اللفظ والفحوى وكثرة الأدب وقلة الدعوى ولفائدة تذكر بهد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الأغر سمعنا دلو أفندم حضر تلمي
وهدفاني أرجو نشر ما يلي بجرادة المؤيد إظهاراً للحقيقة ودحضاً لما افترى به
علينا ونشرتموه بها
قد رأيت بعدد ٤٩٥٦ و٤٩٥٧ من جريدة المؤيد أن صاحب مجلة
المنار قد ادعى أنني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقاً تحت امضاء
(ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف إلى غيرها من دعاويه علينا
وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم أنني خبرته بأنني كاتب الرسالة
الذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت العنكبوت على ذلك
وحيث أنه يجوز أن يكون المبتضين إليها قد افترى ذلك علينا ليشوه وجهه
الحقيقة الساطعة يردون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأنى الله إلا أن يتم نوره
ويمكن المؤيد أن تراجع الحقيقة ليعلم أنني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه
لم يسبق لي أن كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلاً فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المقريات . ولو اني
كتبت أو اكتب الى جريدة لكتبت بامضائي وحاشا أن اكتب بامضاء مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد أن التجميل جهالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقفنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

كتبه محمد بن نجيح المطيعي

بيده العصمة وعمام المنة والمنة

الحنفي بالازهر

(المنار) كنت أنفي لو يعلم الشيخ بنجيح موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتسبه
من المحكمة ولكنهم لم يهتدوا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المنفذين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرية
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . واغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبراً فندي ضومط تساهلا في القياس وحبا في سمته لاجهلا ولا ضعفا في اللغة وفنوها واننا نقول قبل ان نورد مالا مندوحة لنا عن ابراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بأنني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف الطبع وأكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل بما لم تعد به العرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأ كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يسبد اليه النظر أو يقرأ منه سطرًا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فإنه يشغل صاحبه عن كل ماعداء حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب العصر سلم منه ولكن أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جدا حتى ان العالم النقاد ليقرأ لاحد من عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لا يقرأ قليلون في كتابنا اليوم وأكثر منهم من لا يقرأ لاحد من بضعة أسطر الا ويعثر ذهابك بغلطة ويرتبك فهمك عند جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ، هو الذي يحمي اللغة ويرقي بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالأغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما تنتقده عليه وتقول أنه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرروه فلا يقيس على السماعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل نصحيحه. ذلك ان التسهيل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجري. الجهلاء والضمفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويثني همته غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التسهيل مما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وانما نريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لنبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صوابا فهو لم يأنه عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بانه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التسهيل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما ذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم نخل من توسع في افادة المعنى المراد هو بما يعهد في المواضع بل لو قال (القصد في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لاول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسر بها به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذ مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقمح فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقمح عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تقمح الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقمحا أو تقمحا بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولاً الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه امكن الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضعه بين أيدي شبانا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واتي أجزم بانه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلبي مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعدته فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لا فائدة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المنطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيح الاحرف » وكلمة صفيح لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما يعني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جميع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) « مقاسة » والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) يصوع بالصاد
وأما الالفاظ التي صححها وتحمل لجعلها قياسية فلاحاجة الى استعمال تكاتفوا
منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع
الكثف للكثف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر
للظهر : فيه نظر اذ لانسلم ان معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر
الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي
الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد
عليه في الاعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز ان يكون من المظاهرة بين الثوبين
ونحوها أي المطابقة بينهما لان المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية
الظهر وهو معهود عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام
من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في
التعاون . ومن ما شاك كتفا الى كثف لا يفهم من مما شاته لك أنه يمنع عنك
ويعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشيرة غير
ظاهر فان العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدية عن
القاتل من عشيرتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأثمهم
يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وإنما المنفق هنا واحد وهو العائل
والمنفق عليهم هم الجماعة أي العبال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل ان
الكلمة منحرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب الموام لم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه
فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فإذا نقول في
كتابة جماهير المعاصرين الذين لانكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية
على ان منه ما لا يفهم منه الغرض الجميل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقنا
يجعل المعيار في جيد الكتابة رديثا فهم القاريء فمليبه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالعربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فإذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لا مثال هو لا بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وانما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأساليبها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لأجيز لنفسى الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكون دولة عظيمة من قبائل العرب وانه يحله وبودي له ما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقبيحه والطعن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير مائربوا عليه ونشئوا فيه من كراهة

٥٣٤ كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم (المنار ٧: ٩)

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بمخاتم تفسر عليه فضه فان هو فضه تفسر عليه محو أثره وان هو نزع ربة التقليد ، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية .
تؤكد ذلك الشيء المصاحبة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرهم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما ينصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لا يكاد يقع بها الا على ما يمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا كل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوروبا في السياسة والعلم والعمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العال والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة الماهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلاً من أعلم المستشرقين بالمرية وأدقهم فهماً لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بهته للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عندها محيصاً : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطلاح عليه المحدثون والفقهاء وانما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لا محيص

(المنار ٧: ٩) كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم ٥٣٥

عنها لأنها لا تحتل التأويل ولا القال والقال وأما الأحاديث القونية فإن التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلاً ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : إنما قتله من أخرجه ؛ يعني علياً فقال علي إذا ما قتل حمزة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحداً من المسلمين قويمهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول أن المنصف من الأوربيين يعسر عليه أن يفهم الإسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والإطلاع على كتبها فيما بالك بغير المنصف وغير المتقن . وسرى فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطأه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهم من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم واثنا نبداً بخير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ وما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمهران عظيمين أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه إذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به أن النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمها ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه إن صح ذلك فلا يبعد أن النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم غني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

٥٣٦ كتاب مرجليوت في النبي صلى الله عليه وسلم (المنار ٩:٧)

والبلاغة بل كانت يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدما أمرا ذا بال وأنشأ لهما صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣:٥٥ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرته الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطالع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بغميب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتقلب عليهم حيواتهم فيفتنهم بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحرار في تعليله على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار نهج عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان اله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص الهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانقطاع في وسط السبيل

(المنار ٧: ٩) كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم ٥٣٧

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبده في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيده اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطاة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فانه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وفاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أمر النبوة لم يكن يمثل هذا العمل والتدبير والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سو الان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة المعارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من مخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يكن استخدامها للرفع والدفع مثلام يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وانما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبنى فيه اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعي النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

(المنار ج ٧) (٦٨) (المجلد التاسع)

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدينة راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي ما زعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن
فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بدانه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتشيل
الذي لم تحرمه أوربا الا حديثا : ونقول انها وان حرمتها في بلاده لان الامم قويت
على السلطة فيها فهي تبيحها أحيانا في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطأه في تاريخ
الحوادث وبيان تعليلها وأسبابها

فتاوى المفتين

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالبا ورمما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولن
يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ اسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين

أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصا في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه يبيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صورته الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولما احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء. وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام إلا أن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلما لأحد المتبايعين وحكمه ان لا ينفذ الا اذا رضي المظلوم فاذا أراد فسخه جاز له ذلك. مثال ذلك بيع حمل الحيوان مبيى عنه لأنه غرر فاذا اشترت ما في بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختارا ولولمواقفة العرف فان الله تعالى لا يعاقبه على أكله. هذا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً لأحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولا شك ان من يبيع دينه لا يكون ظالماً لأحد ولا آكلاً ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظالماً له لان الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به وهذا وإن الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية نقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها

(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلاً كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لأن الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يمدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلى بأحد النقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد النقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الأجانب (لنا في التجارة وانفraz روتنا اذا أبيح لهم ذلك ولم يبيح لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء بيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب إلى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانصه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالائتمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالعقل لا يبيح هذه بوزنها من جنسها فإنه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه الحاجة الناس إليه فلم يبق إلا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة إليه لأن صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

(المنار ٩:٧) أما الزكاة والرأبا في التقدين لافي كل ذهب وفضة ٥٤١

البتة بل يبيعهما بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فإن أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه بغير وشعير وثياب. وتكليف الاستصناع لكل من احتاج إليه أما منهذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع فلم يجز بيعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص المصام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فإن لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفي الزكاة قوله « في الرقة ربع المشر » والرقة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فإن حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الرأبا في التقدين وإيجابا للزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداهما بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الرأبا في بعض صورته لافي كلها وفي هذا ثبوت الأدلة حقها وليس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

يوضحه أن الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الرأبا بينها وبين الأثمان كما لا يجري بين الأثمان وبين سائر السلع وإن كانت من غير جنسها فإن هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا يجوز في بيعها بجنسها ولا يدخلها: إما أن تقتضي وإما أن تربي: (١) إلا كما يدخل في سائر السلع إذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب أن هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة أسكلي الرأبا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لأحدهم دين مؤجل على آخر فإذا جاء الأجل قالها له ومعناها ما أن تعطيني الدين وأما أن تزيد فيه لأجل الإساءة والتأخير في الأجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
بوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها
المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ومعلوم أن مثل
الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي دينارا ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
أتقى لله وأقرب في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلوها الناس
بوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا بغير

جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
بوضحه أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيعحت العربايا من ربا الفضل وكما
أبيعحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للخاطب
والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرب
على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
بالحيل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
المباحة المتقومة بالأمان في الفصوب وغيرها وإذا كان أرباب التحيل يجوزون
بيع عشرة بخمسة عشر في خرقه تساوي فلساً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقه
فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلاً ورحمة وجلالة باباحة هذا
وتحريم ذاك وهل هذا إلا عكس المعقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
زيت وحرّموا بيع الكست بالسهمسم وبيع النشا بالحنطة وبيع الحنطة بالزبيب ونحو
ذلك وحرّموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحيل

(المنار ٩:٧) الفرق بين الصنعة التي تقابل بالثمن وبين الصنعة ٥٤٣

عليه كل باب فتارة بالهبة وتارة بالمحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقدا ليس إلا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بخنا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطال الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر للعبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والمآل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المماوضة عليها معه يوضحه ان المماوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة واتركها ولا تقول له تحمّل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هنا لفظ يبين الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه
فإن قيل فهب أن هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير
المطلوبة إذا بيعت بالسبائك مفاضلاً وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب
قبل هذا سؤال وارد قوي وجوابه أن السكة لا تتقوم فيه الصياغة للمصلحة العامة المقصودة
منها فإن السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فإن كان الضارب يضربها بأجرة فإن
القصد بها أن يكون معياراً للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة
في العرف ولو قبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت
لأجلها واتخذها الناس سامة واحتاجت إلى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام
الدرهم من كل وجه وإذا أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك
ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقلاً بوزنها ولا يأبى ذلك
الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ
والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهماً واحداً وأول من ضربها
في الإسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه
الرخص للمسافر في السكك الحديدية ﴿

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر
وبين المغرب والعشاء إن سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه
لا يصل إلا بعد خروج الوقت ولا سبيل له إلى الصلاة في أثناء السفر أم لا بد
من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لأن الشارع
لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه .
على أن رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فإن
النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة
كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم
ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليل ذلك «لئلا يخرج أمته» فعلم أن
ذلك رخصة مطلقة توثق عند الحاجة إليها

باب التوبى والتجمل

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالمشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فاني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكرى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتي الصديق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التجمل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطاً صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشريعاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فانه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الا هازلاً

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كاذباً فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك استأول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيّل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الانقبا لتناق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نيتي وسرعة تصديقي واحس بقشعريرة الفيرة تدب في جسدي حتى تبلغ نخاع عظامي.

وأول يوم قامت بنفسي فيه الرّيب على صدقها فررت من المدينة هائماً على وجهي كالجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بهري في مسيري مشاهد جمة من سنابل الخنطة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدنا وجبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرأي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يد الريح ، وخرير الماء المتدفق من ينابيعه المنتجة تحت الحضرة والديكة المقبضة المنطرفة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبد السماء، واسراب المصافير ثائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلتفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي انها تنشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منعطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها انها خدمت ثم هجرت وسألت نفسي سوألا محقق هل تقسم النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف مره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت إخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عنت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء نكتنفه اطلال دارسة وفي دكن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرقبها عن فم البشر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انقلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفتاة المتوحد وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في انها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني هاهنا لا منعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيد احوالها من شأدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنية كان جبينها الكئيب في اثنائها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهممت بكلمات مبهمه وهي تهز رأسها ثم هزلت داخله أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به واهنه كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوهية طوى امرأة طائشة اجبرة فاستأذنتك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لأنها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بأنها كانت تحرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتنبورغي (١) يقال انها تحبه لما له فليت شعري هل أبصر أحد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والغش». هذا هو التمثال الذي فخرته ببخور أمانى وجعلت له بين الآلهات المفيقات مكانا وكنت أتمنى لو دنت مني الكواكب فانهزعتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيئي انسا كانت سوء حكم لا ارتكبا لشيء من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استباحتي لعفوك فاعفري لولدك هفوته حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه . اه

﴿المكتوب الثامن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشd وان ما تقترفه من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتنبورغي نسبة الى ورتنبورغ احدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاند الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله أخوه بالسهم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاند شبه جزيرة بالدينمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما نتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامى ان أعيب سيرتك فيها لاني
قد عبتا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من النصائح قبل
ختمها المحزن ليساوي ما وعظمتك به نجرتك الذاتية . ان في أمور الكون لمعدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ للخيالة الانسان
ان تزيناها بالالوان المموهة وتغشيها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
على اني ان لم أقر لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والحيرة كنت قد كتمت بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تنسفل
لارتكاب دنيئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأماني البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
لا تنخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخور
المتبلة للسكبرين

تراهم يبدلون من الهمة والنشاط في تحصيل القبطة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
تدل على خلوصهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفصاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الأنهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تبجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

(المنار ٧:٩) حقيقة الحب وعثرته وضرر القصص الغرامية ٥٤٩

يتصيدون الملاذ السهلة فارباً بنفسك عن هذه الرذعة (١) فلا مقرر لك فيها
اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيراً لمن هم في سنك ان يضلوا
فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما يتخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . ارى انك فوق حنقك
على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
ذا كرتك تجدني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك
تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتنكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
ما يتعلق بها حتى ثنيات حللها تمام النكر وان مثالها الظاهر ليسري سر بان الشماع
فوق كتابك اذا فتحته لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وانت تود لو تشاهد معها كل ما في
الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريذ وهي التي ينطبق عليها ما تخيله
من معنى الفضيلة وتود من اجالها لو تكون أفضل الفضلاء فلك الذات هي التي تحبها
فان لم تكن تأنس من نفسك شيئاً من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلاً ولم بأن
لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
على طالب الخير وعلى ان يقتضي الحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لو ثنت شفقتك بالكذب
والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
كالتى نرى في القصص ازدادت لذته وكثرت لاثماج به فليس الامر كما يتوهمون
لان في الحب من العظمة الذاتية ما يفنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا
راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي
تفزل أو تخطب بجانب المصطلى ثم يسبح رؤس أولاده غلاظ المضلات مناديا كلا
منهم باسمه وينسك في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
الدردار الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

(١) الرذعة الماء والطين والوحل الشديد

(المنار ٩:٧)

فرقان القلوب

٥٥٥

خيالا اضعافا كثيرة من حظي إلهة من إلهات الحب الجديدة
الشباب هوسن الأمانى والأحلام وطور الخيالات والأوهام ثم ان كثرة المطالعة
لأئمة لها في أغلب الأحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القصاص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اتيامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل عمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
ما للأثرة من أنواع الميل الاعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة التي ستحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان بهمك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك
حاشية : فاتي ان أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جمية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكنا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقة وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أنا كل من يريد

﴿ التقریظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدى افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخاص والمعام ، فإقرأه ينتفع بالثواب المنتهي ، وبتعلمه

ينتفع في دينه المبتدي » وتقول ان موضوع الكتاب بما يفيد المبتدئين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؛ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الحاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطمة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الأدلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبنى أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأيد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطمة وجعل نتيجة الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده إنما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بغفلة الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فإذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينشأ منه ما ينمى به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الأسرار القلبية التي تتدل إلى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة: الشامة والباصرة والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كقيمتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فإذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و - - فهناك لا بد أن يعظم مولاه ويقول أشهد أن لا إله الا الله « الخ ثم انتقل إلى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضاً منه في نفسه وفي الموضوع الذي دسّ فيه وناهيك بكلامه في الأرواح عند الكلام أسرار الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت إلى المسجد فقبلها الشيخ أحمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ أبي الهدي غرام بأذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي أنه يلي الإمام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الأئمة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ ترى المتخرجين في مدارس الاستانة أكثرهم ماديون وترى مدارس مصر قريبة منها وترى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية أن دين الإسلام قد تحجر من شدة الجحود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دوت بها في الكتب ثم نجد فيما من يرى أنه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فماذا هذا الخلف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ فِي الْأَمْرِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا. وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والأمراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها. ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصرة أن القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية إلا بالعلم الصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالصمى وإن اتسعت دائرة تقليده. وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه، يقولون لأن يمجدا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يمجدا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقنضي النظام القديم من الاستبداد فهناك الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واتي أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

(المنار ج ٧) (٧٠) (المجلد التاسع)

(المنار ٧:٩)

جامع ومدرسة دينية في ديروط

٥٥٤

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يمحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سني وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا إليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاخطت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم المعلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطميانة لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعاً للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط ففقد الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال بمحمد بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص إلى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدى الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال إنه يتكلم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح «من بني لله مسجداً ولو كفح حصاة بني الله له بيتاً في الجنة» ومن ذلك تفسير المفحص والنسبة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الأوفى وختم كلامه بالدعاء لسلطان والخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاء الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود إلى مصر مجدداً السابق إلا إذا كثروا العاملون وانتقل من ذلك إلى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والأمير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال إلى الأدبيات وأسمعي لنفسه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه إن شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصميدى فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والعرب وأوروبا واليابان ثم انتقل من ذلك إلى شرح عمل الواقف

وإطرأه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجل خطابا وعى كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقرائته فيه ما كنت ناسيا منه وبعض ناسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو اننا نحتفل اليوم بميل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول

كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي بني عليه محمد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزبة الحاضرة وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم . اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم الحياة ما يكفي لانماشنا وإقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة . قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين في مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معاملة وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترقى الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبذل فيه يعد بمثابة الفتح والباذلون في مصاف الفائحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطامس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في اشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلم ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الأحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صواباً ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدى وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المعلمين في المدارس الابتدائية لم يزدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا لأنهم لاهم لهم الا الذات الحيوانية والمخروط الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تترقي النفوس وتقل الجرائم والفواحش ويندر سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لاني ازالته من الوجود بالمرّة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا. ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للرقى الى تعليم أعلى منه لا ترقى البلاد بدونها وإنما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجمع وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تكميل التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه. وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الديني ميسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالا يحجب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الأمة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره مؤشراً لشهادة فعلية
بنفمه وشكراً لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال. وإذا كان المحتفل
ينوي باحتفاله الترويج في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء
في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل
ثم ختمنا القول ببحث الأغنياء على الأعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الأمة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متعبد أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ما يقال
له المدونه يبعد عن حائل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعبد
للحصار وضائق عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من
العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بن يوسف ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وفادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعبد بن
الرشيد حتى يتناكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح وأمله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشبيحة مع المساكر المنظمة التي هناك (والشبيحة
قرية من قرى القصيم) وكان متعبد ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه. ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرية من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملاحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف. وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر يريد وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم بجمع المال ويستقل بالحكم. وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي بأشأ على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فانا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فانا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرجع ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا. ووافق الشيوخ على ذلك. وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء واقتربا مفضيين ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثر الاعتداء على المساكن بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والفطرسه ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ما جئتم إلينا فكيف تطالبون منا أن نحميكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الإقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه إلا ان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال. وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

الجزء الثامن

٥٦١

المجلد التاسع



بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منارا» كنار الطريق

﴿ مصر — شعبان سنة ١٣٢٤ — أوله ١٩٠٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

خطأ العقلاء

من مقالات الأستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالعرايين كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١

ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا أكثروا من دراسة الفنون الادبية ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جلية وتنبعث في نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم عليها واكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والأخبار ومعايشة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثاً ان يكونوا على مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين و يظنون ان أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدقاتر ووضعت أصولا وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحول الاخلاق وليس بين غاية النقص والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي تمحدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات وإنهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته وارتفاع الهمة وانبعاث الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيماً من حيث انهم لم يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يجتنبوا قابلية الاذهان واستعدادات الطباع الانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لعلوا ان الامم في أحوالها العمومية كالأشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الأحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الأحوال الخصوصية وليست الأمة مثلا الا مجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الأفراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال أمة بنامها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكميل الواحد . هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات ؟ كلابل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يمحصر أعماله ويقيدها بقيود من الترغيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصعب على الاسهل مثلا أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحوية هل يمكنه ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلابل الذي تمكن في العقل أزمانا لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة واحدة ولكن بمبارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المائل والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخري برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر بنفسه . تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والعادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أوصافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الامم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحذيرات فيها لا تبعد منها بالمرة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يعصي زمن طويل الا وقد انخلعوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير لحفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتمس منها بحكم الاستعداد القضي عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الامة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثلاً حال كونها على مانهد من الخشونة فإنه لو فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فربما ينتخبون آلافاً مؤلفة ثم لا ينتهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً منها ثم يقع المهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أميركا فلا بد من قرون نبث فيها العلوم وتهذب العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا وياعجباً هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها من مهده إلى كهولته وتعود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم يفكر فيها أن هذا خطأ ظهر

ولكون أرباب الأفكار منا يرومون أن تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوروبا وهي هي لا ينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح ويضرون البلاد بجمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم على حالهم القديم وكان لهم إمكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير البلاد فلا يسمى إلا في اثنتان التريية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه أن كان طالباً جتاً بدون، اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

عند هذا المود

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقدمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك العادات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريباً منها لترقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيّرت أخلاقهم ونهبت الضرورات أفكارهم وهذبت الخاططات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوروبي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كان الفنى والمزمتوكراً أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدكم لكن لافي البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوهما من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقدر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سبر التقدم الأوروبي لرأينا

أسباب التقدم يجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب وفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتآلف له الجمعيات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب انقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقييدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع الموائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلغفهم العقلاء اليها لكن لا بتحريك غيرهم الى العمل اختيارا أو الجأهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتمدنة ويشهدوا عاداتها واحوالها ويستمعوا منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويتفكرون فيما لا يعقل فشادوا بيتنا أبنية وزينوها بما لم نكن نعهده من أنواع الزينة وجلبوا الينا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مخبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن ونشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا آئمة لنا في العمل فاخذنا نتشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

(المنار ٩:٨)

كلام في خطأ العقلاء

٥٩٩

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقتنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك نرى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتنجو به وضعها واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المأكل والمشرب وآلاتها وأوانيتها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاوله ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلامنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتمالك الحصون وبالجملة فقد سلمنا مسالك المتدينين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر للابناء وهما كمننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستعداد (أي بأن تكون أوزة) فحبت نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وعزقت منها ما عزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نطنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الترف والنعيم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتعبة للذة الحقيقة والنعم الباقى في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه اللذائذ والآلام والتنشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتمدنة فصيح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا أبواب اللذات مفتحة قبل ان يجدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفيفية الى بلادنا وطلب التحلي بها بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا وليتنا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع الشاهق والترتيب المحكم ونزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على بساطتها وشيدنا في عقولنا الهم الرفيع والحمة التي لا تمتد اليها الايدي وأحكنا طرق سيرنا في حفظ حقوقا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ علينا ما وجدنا وتجذب إلينا ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيره على البلاد وأنفه عن الصغار

لعمري لو قدمنا هذه الزيتة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان العالم بأسره ينظر إلينا نظر الراهب الخائف أو برمقنا باحظ المعظم المبجل وكانت معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين فينا حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحججونا عن النهايات حتى لا تراها الا من أنفسنا فنطلبها لالا نها أعجبت المظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لافي زوائدها فكنا بذلك نصل الى ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فاق الوقت ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين لا يعلمون للخلقة غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما خلقت لهم يستعملونها كيفما يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية وشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ومحووا أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس عباده لفهم منافعهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصيناً بين كل شخص ومنافعه

(المنار ٨: ٩)

كلام في خطأ العقلاء

٦٠١

فاستأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بفضب ذاك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بالغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني ففئت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمرّة

وكان من جملة التقييدات العنيفة التي وضعها أولئك المتسلطون الحمر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفحش بالنساء أو شرب المسكرات وما شا كل هذا فان وجدوا شيئا من ذلك ساقوا من يجدونه الى حيث يستوفي عقابا أليما وكذلك وضعوا في الافواه لجاما من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقة أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالميان

فتلك كانت حالة تهيئة يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتمدنة وطالعوا أحوالها ورأوا ما عليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتمدنة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحهما من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

(الجهد التاسع)

(٧٦)

(المنار ٨)

نفسه بإرادته ويتكلم فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً (ماأنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الحبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على اللسنة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لا جناح على من ارتكب أي جريمة وتطبع بأي خلق حسناً كان أو سيئاً وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مسلوباً أياً كان فلم يجعلوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الأمم المتقدمة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار ومهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يلفه الاوريون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من الهو واللعب وتنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات وانسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتعدى ذلك المرض الممدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتنقن وافنضحت بذلك بيوت شريفة وكما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفماً قال المولع هذه حرية فضاع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات يتسابقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) ويصرفون فيها مالا بقدر من التقود (وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي—هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهوس ورى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها ثوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعاذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلم فيه حيوان فضلاً عن انسان

فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لها أثراً بحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتمود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخيثة تبليه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر ونفله بطوق النذل والمار ويا ليت بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترفع الكبسة بذاتها ويذهب الناس أحراراً بطبعهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهندسون وبقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تأتي الأفكار وبأي الوسائل يوفي العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن محتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان ينتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من المارفين الى القرى والمدن ليفهموا أوثق مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتتمو فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دقات الكتب وصدور بعض من الزبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والمعادن رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكام بقعنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً

واننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالذوايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويا ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لابد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورنا وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نبهاء البلاد وذو الشأن فيها فليعلم ان كانوا صادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والاقامتهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المعروك من الأمور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كاليا كان من الأمور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرفا

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عنائين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين التضامنين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء ما يعود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن نعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليترجح عما سواء بخاصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخره كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكماليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس أدامته العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقضاء إذ ربما تحتمت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كاف لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي التمسك لملته هي التمرن والاعتناء وبعبارة أوفق بالفرض: أن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمجسّنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا حكم الصروف والحادثات التي قلبه على بساط القهر قلب المصفر

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالألم ويدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الألم بالكلية ولا يجد الا عملاً بدون ألم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استحال الى
ضده (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل
و يشند العشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التمرن والاعتياد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالأمر فيه وان
كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لنوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يتف عند حد محدود فيما يتعلق
بإلزام حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب بعده من قبيل النمدن
أو الحضارة أو الترف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرمق من القوت
ويقيه الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تأتى في هذه الضروريات بعض التأنيق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما تأدى اليه فكرته فجهد واجتهد واستطلع بقوة النظرية خواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعد على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتحت أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحمل أثقالاً على أثقال كلما
وصل منه الى درجة ظننها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليدها الغريبة زينة شأنت كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بهز
والناس مستغنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء وكل ذي
نفس للحجاج الى أنفاسه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الغرائب زما استراد منها حتى يبلغ بها حده

الكثرة في استعمالها في لوازم الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعتادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامه المنيف ويحط بمقداره الشريف ولا يندكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الاشجار ويأوي السكوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر نقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان مأ كفرة) بحكم الحيوانية مطبوع على النعدي والشره فقفاخرها بما يدهش العقول ويبهز النواظر من صناعاتها الفرية وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الذاهل المندهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقلب عليها من ضروب الحيل والدهاء وبما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجذب بحكم الاضطرار حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تذوق لذة التقدم وتنسبها سكرة التيه طعم النذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تترك من الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الأمم حتى تنظم الأمم جميعاً في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا اتهرت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالناء في الاموال والانس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التلقبات والتقلات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون وينحاسدون على التقير والتطهير ويغلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء ويعذبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخالب التكلف ومشاق التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في بوادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتياد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجرى الطبيعي فيلتثمون بعد التفرق ويرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت و ياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فغير معاملة الطبيعة وبدل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسليما جدليا فهو من نوع واحد يشف مراه عن الوحدة الثامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد ربطتها عادات وأخلاق منحد الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة - التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأكيد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة العموميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العمومية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجمل الغفير من عقلاء الناس فقالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كساكني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويمجدون من بركات الارض ما يكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والمنازعة اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل بقبيل نازل توجه الكل الى انتقاذه مما ألم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، وممرنه على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

﴿الدين كل ما جاء به الرسول﴾

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المدرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرة هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
النراع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه)
ولعمري لو لم يكن الرسول منبياً لأحكام الله التي لم تفصل في التثريب كيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما يبينه أو يشرعه
واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً وباطلاً قل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله وينه عن حدوده يدخله نارا خالدا فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لو لم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أكان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع الخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبدا ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله وبذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحا لكل زمان ولا يكون جامدا متحجرا كما يقول البعض ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول »

لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبهه عليه أنها نزلت لسبب اذ العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أكان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ! قل لي أي المعنيين أرجح عندك لأظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم فاذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لا عجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أن بمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقیم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أولئك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضاً مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصاً شديداً حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملاً الا ويستشهد عليه بحملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دوّنوا في الكتب كما دوّنوا القرآن وتحروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الأحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين بحال (كذا) وما كنت أظن ولا يخطر ببال أن حضرة الفاضل صاحب المنار إذا كرر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأمره يعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري إذا كان فتح باب الاجتهاد يجر إلى ذلك فسد بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الأزهريين وغيرهم من العلماء أن يطلب دليلاً منهم على أن أقوال الكائن فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ هل بعد أمر الله صراحة كلام لا أحد وهل بعد إجماع ملايين من العلماء على ذلك محمل للاستفهام والسؤال كلا هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

تقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب مقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وإنما حذفناها لأنه لم يأتزم فيها بما يجب في المناظرة ولا بما ليس فيها شيء من القوة إذ مضمونها أن الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نفيًا لاختلاف الأمة. ولو كنت أجيز لنفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة ستفترق وباختلاف الفقهاء والمنكسرين وبأن الرجل لم يقتل أهم اختلفوا في كل أصل وفرع.

(المنار ٩:٨) تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة ٦١٤

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا إياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لامندوحة عنه واتني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولا اعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يخطر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصلة والجلال حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء العصر فيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الأزهر وأذكياء المجاورين ان أهل الأزهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لا نرد على أحد ولا كتبنا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لاندكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفعل . ونحن لا نشترط على من يكتب الأتزانة العبارة وسلامتهم من العطن والنهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وإننا أياكم لعل هدى أو في ضلال مبين)

تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمدني أمته» لانتحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احدهما طريقة تعليم الدين للأحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه «الحميدي الأور» ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الاستانة كان قد رفع تقريراً الى المايين يلفت فيه السلطان الى فقرة « ونخلع ونترك من يفجرك» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

٦١٥ تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الستاثة (المنار ٩: ٨)

الدعاء أو حذفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائنه في أمر هذا التقرير فأشار عليه بالاعضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب « ان هذا الخبر نبي الى سبط الفاتح (سوخته لر) فسخطوا وبربروا ، وتقموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالة بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخرجهراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطفئاً لجرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفت حذتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر بيال سيما والارتباب في الخبر مدعاة لنسيانه لولا كرسية تركية صغيرة تسمى (الفباي عثماني) جلبت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدئ تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكرسي فوجدت فيها جميع الادعية الماثورة حتى « رب يسر ولا تعسر » لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والترك في جملتهم . (و ذكر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكرسي عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفند يمزحضر تلري مقدس خليفه سيدر . بزم سو كيلى بادشاهمز در - الله تعالى به يغمبر يمز بادشاهمهز أطاعت أيدرز أمر لر نبي طوتار نهيلارندن اجتناب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفته المقدس ومليكنا المحبوب - نطيع الله ونبيينا وسلطاننا وننميك بما أمروا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فما ودني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شوون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا العصر « عصر الترقى » يعلمون ابناءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث بشر كونهم في خصائص

(المنار ٨: ٩) تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الستاثة ٩١٦

الالوهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من اتخذله ثلاثة أقانيم . وبالبتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب انتجيل وصفات المتقدس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزابل المكسب ويفلت أمثال الكراسية المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عنة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدس سمات» «ذات فرشته سمات» أي الذات المقدسة الشماثل أو التي شماثلها كشماثل الملائكة.

وإذا أراد أن يمتنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى كما رأيت بعيني) عمارة شيخ الاسلام تهوي الي بين قديمي جلالته وهو يشكر له ويدعو . وإذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يفرد بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيّد دين حبيبه بدوام سلطنة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه بقاء سلالة آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بعدالة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظه ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصرة الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الفازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان» اهـ

(المنار: ٩) تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة ٩١٧

أضحك أيها القارىء، أضحك الله سنك كآني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكنني أحلف لك بكل ماتكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في بني چشمه. وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع. وقرئت أيضاً في جوامع أخرى وأجيز واضعها بثقة ليره. وممها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يعن الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم. وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والتعظيم وارثكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعرأ كذبه» - ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع ومواقفة أصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الأمم.

أن شئت أيها القارىء الاستئناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

«ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهدب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالفازي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب. ولكن مطلق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به.

«وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - مللنا الخطيب بقول في خطبته

٦١٨ رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل (النار: ٨٩)

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع قشغره الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص إلا بعد الجهد الشديد. واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر في زماننا (يعني محمد بك الأنفي أحد أمراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب إلى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال ابنه إبراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكانت مغرورا بدولته مستبد إبراهيم فأطنب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته وتقيده عن مصر إلى بعض القرى.

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء أن يلتمسوا سخط الله برضا الناس فإن ذلك موجب لسخط الله والمقت الأبدى نسأل الله العفو » اهـ
من أمعن نظره فيما قلناه ونقلناه يأسف لحال الأمة الإسلامية كيف ان «سائتها وكبراءها» في العصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية أبنائها واستدرجوها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزعت منها روح الحرية وفقدت النعرة والحمية وحل محل ذلك انضغف والخنول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة » الخ

رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل

إلى منار الإسلام، والهادي إذا ضلت الأفهام، وطاشت الأحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والإسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجدتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرة دين الله الإسلام وأهله ما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الأرض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت حللهم، وأنه بعكس ذلك يدعو إلى الوئام العام، ولم تترك في القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو محرر وكشفت النقاب عن حر المسئلة التي تخبط فيها ذوو السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف الحرجة اليهم، ويأجبنا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الأغراض، وحقائق الأمراض،
وما لهم من مخارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول
ان المسلمين ليضططون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسمع كل
منصف عدل من الفريقين الا الاذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهراً فباطناً وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها الغرض ذاتي أو عرضي
وانها مراة مافي قلوب المسلمين الخالص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل
ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحسبنا الله ونعم
الوكيل

فَتَاوَيْتُ الْمُبْتَائِينَ

فتحن هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً ورمما قد نمتأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولن
يمضي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لا زال كعبة للسائلين في رجل اشترى لولده أملاً كامن أناس
أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده
فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إساءته بأخذها منه

٦٢٠ أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق (المأثر ٨: ٩)

عقوقا يماقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدلائل الشافي لازلم نجما
للمهتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وإن اساءوا ولا يعدون ذلك من العقوق الذي هو الإيذاء الشديد عرفاً والمساءلة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد وإذا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم تتبعه النصيحة النافعة إن شاء الله تعالى . قال شيخ الإسلام السراج البلقيني في فتاواه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج إلى بسط الكلام عليها وإلى تفاريها
لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق
الوالدين إذا إحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود إذ الناس أغراضهم
تحمّلهم على أن يجمّلوا ما ليس بعرف عرفاً لاسيما إذا كان قصدهم تنقيص شخص
أو إذاؤه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو أنه مثلاً لو كان له على أبيه حق شرعي
فاختار أن يرفعه إلى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فيها يكون عقوقاً أم لا (أجاب)
هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الأكبر إنه يمسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه
وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح العليم أن يكون حسناً قول: العقوق لأحد
الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً من
جملة الصغار فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الأكبر أو أن يخالف أمره أو نهيه
فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم ينهم الوالد في
ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الولد أو في غيبة طويلة
فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقعة في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط
أن قولنا أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً مثاله لو شتم
غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فإنه يكون
المحرم المذكور إذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو
أخذ فلان أو شيئاً يسيراً من مال أحد والديه أنه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه
من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراماً لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ ما لا كثيراً بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فإنه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

«وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالد بدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فإنه لا يكون من العقوق فإنه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بوجود هنا فافهم ذلك فإنه من النفائس . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الوالد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتمد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لا عسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء .

«وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة» وأما اذا نهر الولد أحد والديه فإنه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر .

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بعد ايراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عرفاً وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملاً فلا يقوم له ولا يعبأ به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الغزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسا عليه في حق فلا يبرّ قسمهما وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسباه فيضريهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امثالاً لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البرّ المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليمي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لا بد من الالمام بها في هذا المقام لايضاح الحق في الواقعة المستول عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهن حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لما حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل مايريدان وأن لا يكون له معهما ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حدائثه . يقع هذا من الأم قليلاً ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعاً ويلتذ له أن يرى ولده مفتقراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأ نصار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم . ومن التربية على الاستقلال أن يعطي النبي ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستقله ويتمتع بشعرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لا يحل هنا لشرحها . وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لنموتوا موتي ليتتموا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون أن تطول حياتي . وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم . وكان محمد باشا المحمد أغني أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعقلهم وقد قسم جميع ما يملك بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال ، ويربيهم على العز والاستقلال ،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأحنف بن قيس لما وبه وناهيك بعقل الأحنف وحكمته . قال يزيد أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فلما صار إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسما ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ، :

هذا وإنما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد لهله يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قرة عين له ومحبا لطول بقائه وممانا على بره وشكره . وأنصح للولد أن يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأعان ولده على بره» فإن هذا الحديث من الادعية التي ترشد إلى الحكمة السامية وإن كان في مسنده

٩٢٤ السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان (الجزء ٨: ٩)

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشعبي مرسلًا كما في شرح الأحياء والله الموفق

السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشبامي في سواكن: اننا استخدمنا حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج مخنجة بأن الشرع الشريف لا يجيز نقل الزوجة إلى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين إما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن وإما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعملن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية إلزام زوجته بالسفر معه فإذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وإن الإنسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضا النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربية وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرأة وزوجها ويرهقه من أمره عسرا . نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفره أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب الفتوى لأن غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والإحسان وإن ما يسمع عنها أو يرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي رتبة منه

﴿رعي المسلم بالكفر﴾

(ص ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنفاوره
ما قول ساداتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما
لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرك الا الضرب بالنعال وتكرر
منه القول عمدا بحضور الجرم الفقير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعياذ
بالله أم لا فان قلتم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها»
فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلتم بعدم
كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان
جواب الثاني للبادئ مستندا للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى
آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو الله ورسوله ولا نصراني ولا
يهودي: الى آخره أفقتونا مأجورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزبه الا الالهة وهو لا يكفر
بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ
«أما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجعت
إليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم:
«هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من
حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقليل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي
خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيصته عليه
يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد إلى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام . أقول والذي حقه الغزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه إنما يكفر بذلك إذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الإسلام كفر وهو لا يقصد هذا إلا إذا كان يعتقد بطلان دين الإسلام

باب التبيين والتعليل

المكتوب التاسع من «إميل» إلى أبيه

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦
غادرت مدينة بن وقتلت كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) إلى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبها مطلقاً أن ينتقلوا من أحداها إلى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف إلى دروس أئمة الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إنني أخالي تعلمت كثيراً من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملة لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده إليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي أن كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له. ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استعالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نواميس طبيعية. وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا تحيد عنها إلا ما حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الانسان نشأ منوحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة فقر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بديايا أوضاع لم تلبث أن باعدها بتأثير الترقى الذي لاراد له فكما أن الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية. وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤوليا كانت كلها موحاة من الله فإذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلاف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية. وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أي مع بحثي في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسيرتي هذه هي السبيل التي صمت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضاً ويبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطراً في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرج بالأقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك بها ما لا حد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الأصداف التي يتناقلها الأطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين أنهم يسمعون فيها اصطخاب البحر . على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي إليه طمعي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والاختصاص بالحق وهيبات ان أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فأني وإن ولدت في بلاد أجنبية أجد فرنسا حينما نظرت فانها تبدو لي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تفطرسه وتجرده . هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبه الي أي الثانية فلا يذكر الا ويتسر جلدي لذكره ولا ينتقص إلا ويتبين دعي كله انتقاماً له وليس الذي يبهزني منه هو غزواته ووقائعه الحربية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب بكتابه الذين يبيعون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما في نفسي من الأمل في خدمته يوماً ما تجدني مقتباً ومعتزاً بالانتساب اليك . اهـ

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن حروفها واننا نعتد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك المكتبة فجزاه الله خيراً



أنا علي بن أبي طالب

﴿ قصيدة حفي بك ناصف في قنائه ﴾

حفي بك ناصف شهير بعلمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا
في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في الذم بمعرض المدح وإظهار السخط
بمظهر الرضا قال مخاطبا الله مستشار القضاة أولناظر الحقائق

رقيتني حسا وممى فاصنعك الشكر المثني
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأنا
أرد المشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملو لك وكنيت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حوله متعطف كالنون حسنا
هيات ان يصل العـدـو له ويدرك ماتمى
أرايت يوما مثله في القطر تمحصينا وأمنا
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والـ جـير كالبيض الهني
والدوم فيه دائم يفني الزمان وليس يفني
فخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمني

يكني لترويج الاوا ني ان يقال (قنا) فتقني
 قالوا شخصت الى (قنا) يامرحبا بقنا و (أسنا)
 قالوا سكنت السفح قنا ت وحبذا ابالسفح سكاني
 قالوا قنا حرٌّ قنا ت وهل يرد الحر قنا
 سرُّ الحياة حرارة لولاه ما طير تقني
 كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن ثني
 والحى بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
 تندفق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
 ها قد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمأنا
 ووقيت أمراض الرطوب به واستراق الريح وهنا
 ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
 وأنام غير مدثر شيأ اذا مالليل جنا
 قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
 وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفنا وثمان
 فالشمس تكفل راحتي فكأنها أُمي وأخني
 فاذا بدت لي حاجة في الفصل ألقى الماء سخنا
 أو رمت طبخنا أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا
 سكنى القرى تدع السفينه موكلًا بالمال مضنى
 أي الملامي فيه يصرف ماله ومتى واني
 كل امريء تلاقه من بعد الظهيرة مستكنا
 ويرى الغريب السعر أيسر حالة وأخف غبنا

(المنار ٩٠٨) طبقات الشافعية مقامات الهزاني ٦٣١

يجد الحليب بعينه لبنا ويلقى السمن سمننا
عش في القرى رأساً ولا تسكن مع الأذئاب مدنا
وارباً بنفسك أن ترى مستعرباً في العيش جينا
ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الأغنا
واسل الأغاني والقوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿طبقات الشافعية الكبرى﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو طبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن أحدهما منقولة عن الأخرى لأنها متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي القاسي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لاتسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها

طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورقائق الأشعار وأن يبسط كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحديث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلاً ونمناها خمسون قرشاً ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿مقامات بدیع الزمان الهمداني﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الإنشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس بعربي فهو لا يجتذني في الكتاب وإن كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو إتقان التكلف كما كان يقول الأستاذ الامام رحمه الله تعالى
وقد طبع مقالات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الرافعي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استمان على ذلك بشرح الأستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن اتسوخة منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فاذا هي لاتصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه وإطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق غنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم قديين ألعين عاملين على أحيائها لأشكت اللغة ان تقع فيما نخاف : وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشبخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراها بالألقاب . ونحن لاننكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من الدخيل والمنط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم المدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر أحيائها في هذين العاملين فان في مصر وسوريا وغيرها من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاهياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو أرشد الاستاذ وغيره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكانت من عمل الاستاذ ومساعديه في المطبوعات والأزهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

﴿ الديانة الإسلامية • للمكاتب الأميرية ﴾

كتاب وضعه الشيخ أحمد إبراهيم المصري المدرس بالمكاتب الأميرية (وهو غير الشيخ أحمد إبراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتايب. وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فإذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والأحاديث والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام. وقرأت منه جملة متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير من الابواب. رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه. وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين. ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لأنها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلا يعذر فيها كمالاً يعذر بالاكتمال في قسم الإلهيات من العقائد بعد الصفات العشرين ونحو ذلك. وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذه من القصص المتداولة فمسي أن يعنى بتنقيح الكتاب عند طبعه مرة أخرى

﴿ ديوان الرافي ﴾

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو ميسر سائر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى. وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها بعبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بعبارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يمتد إلى مراده . وسنين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقريرنا ما قبله فعرض الموصوف على القارئ أن يبلغ في التعريف من عرض وصفه . ونحن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد ونحن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادقات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الأذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارئ تصوير الوفاء بأجل صورته ، أكمل مظاهره ، والصدقة في أبهى مرآئها ، وأبدع مجاليها ، وذلك بين ظاهر فيها كان بين يوشع وفيلب منذ تعارفا إلى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه إليه وهو سوء عاقبة الخنائين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الأفكار الضارة مالا تخلو القصص من مثله كذكر الخيانة والفسق والخيال . القصة أفرنجية الأصل وقد نقلها إلى العربية فقيده النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها ونحن الأجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرهة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها إسكندر دumas الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم . ونحن خمسة قروش

﴿ عذراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العامة وعن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من المكاتب الشيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان البارودي) العالم الشهير بغيرته وبخدمته للإسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما يفعل وينذكر فيه شياً من الشائيل الشريفة ومباحث التربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فلكية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم نجد وقتنا يتسع لنا لقراءة شئ منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها فنسئلي لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشأها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في أول أكتوبر (١٣ شعبان) ولم يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا أعتابه . فنسئلي لها التوفيق والنجاح

﴿ المزيج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابه في ذلك أزعجت القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة وكشف ما غشينا من الغمة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحفظون كباثر الايتم والفواحش الا اللبث واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم، وأنابوا إلى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جفرافيون وهم أصناف نخس بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحفظون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي ولكنهم يتمسبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل لا يدخرون في ذلك وسماً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة عند الحكماء وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن المسلمون أو القارئون لكلامه أنه من أقوى الناس إيماناً وأصدقهم اسلاماً وهؤلاء جديرون بأن يسموا بالمسامين السياسيين واليههم توجه الكلام فنقول :

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفتررون أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر المالية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام فتفطرون في رمضان جهراً ندخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أقيمتم من المقومات لهذه الجنسية السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فالتنا قطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد إلى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكير - ولا بد أن تروا - أنه غير مؤد إلى هذه الغاية فارجعوا عنه ، إلى ما يبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسياتهم الدينية ملوكهم وأمرائهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المالية المعلومة من الدين بالضرورة جهاراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسرّ فطره ويرائي بالصيام . فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان بمن لهم مكانة في الأمة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الأمة لاجنسية لها في غير دينها فاذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهل تمهلها الأمم القوية لتجد هذه الرابطة - اذا أمكن - في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من الفوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن واذا قرؤوا لا يفهمون واذا فهموا لا يعتبرون «أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»

لا تقل ان المنار ما زال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتخاذ جنسية لا ينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : إنك ان تقل هذا أجبت ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة مما وإنما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شمائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهراً وباطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان يهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويجرثهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه وإياه نفظ بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنته ان يحافظ على الشماثر في الظاهر فلا يكون من المهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بعقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشماثر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاستطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر ويدعون أن من الدليل على صحة إسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهرومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بعقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشماثره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لا اعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بعقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعملوا به . أما هذه الفيرة التي يدعوها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواه بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يغار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يغار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الالرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شمائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشماثر الظاهرة دون الباطنة كأداب النفس والفيرة الصحيحة التي تبعث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا نسكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حلق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يعد لهم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الأمة وبين الرقي في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سبا قتلت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولوطالت حياته لرجي - وقد عرف قدره - ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء العامة

لا خلاف بين العقلاء المندمين وغير المتدينين ان المرأة أخرج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يغني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يبدعه المتحدلقون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليصنوا بتعليمها وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

٦٤٠ المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية - الأزهر ومشيعته (المنار: ٩٠)

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الأسناذالامام الذي كان عازماً على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتخض في الخفاء وتعدله عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الفمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعيًا يرحى وينتظر

أرسل اليها هذا الاريحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفاً من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانياً من عزيت اليهم أولاً ثم لم نلبث ان انشرنا صدراً لما حصن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير ونجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيعته﴾

كثر الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيعته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاباة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المناصب والمناصب ومما اشيع أن المفتي شكاً شيخ الجامع الى رئيس النظارة والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال رآه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيل الأزهر تمهيداً لجعله أصيلاً بعد استشارة الأمير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ مخيت وعلى الدكتور مصطفى جليوت